عبد الله عشماوى خلاف

تحت ظل شجرة

قصص

الطبعة الأولى يناير 2018

بطاقة الكتاب

الكتاب	:	تحت ظل شجرة
المؤلِّف	:	عبد الله عشـماوى خـلاف
التصنيف	:	قصص
رقم الإيداع	:	2900 -2018
الترقيم الدولي	:	i.s.b.n 978 -520-987-10

عدد الصفحات : 82 صفحة

رقم الإصدار الداخلي : 119

تاريخ الإصدار الداخلي : يناير – 2018 الطبعة الأولى

تصميم الغلاف والتنسيق الداخلى : دار النيل والفرات للنشر والتوزيع

دار النيل والفرات للنشر والتوزيع

سجل تجارى : 13242

بطاقة ضريبية : 165-5-00031-572-01-35

رقم التسجيل : 544-662-202 2017-7

E-mail: alnile waalforat@yahoo.com

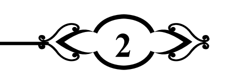
twitter: النيل والفرات

youtube: alnile waalforat@yahoo.com

facebook: alnile wa alforat

هاتف : 01202541192 - 01116202218 - 01011256943

الشرقية - العاشر من رمضان - مجاورة ١٣ - عقار ٣٠٤ - الدور الثانى - أمام سنتر ١٣



رؤيـة النـاشر

قلما تجد مبدعا يؤمن بما يكتب ، خُلُقُهُ إبداعه ، يملأ قلمه من نبض نزف القلب ، ليعلن فى المدى أنه وقلبه وروحه فداء للوطن ، وقربان للوحدة العربية وراية العزة والكرامة وهذا الأديب (الفارس الجديد)

عبد الله عشماوى خلاف الملقب بـ (رضا البحار)

من هذا النوع الفريد والذى قل ونَدُر فى هذا الزمان ..

تعرفت عليه منذ فترة وجيزة جدا وكأننى أعرفه من زمن بعيد فلما قرأت إبداعاته أيقنت أنه يضمر الخير كل الخير فى ابداعاته الرائعة ويحمل بين جنبيه بركانا ثائرا من الإبداعات الهادفة الجادة ، ولى شرف اصدار مجموعته القصصية الأولى (تحت ظل شجرة) التى اعتبرها إضافة جادة للمكتبة العربية

الشاعر

ناجى عبد المنعم

رئيس مجلس إدارة دار النيل والفرات للنشر والتوزيع

إهداء

إلى تلك التي كانت تُحدث الصمت

فأجابها بفلسفة الحياة

إلى أمي التي رحلت ولم ترحل

عبدالله عشــماوي خــلاف

(غابة القرود)

في غابة القرود الكل يأكل الموز

والكل يلقي بالقشر والكل يتزحلق

عدا قرد واحد كان اسمه " سانجو " لم يأتِ تلك الخصال

كان محباً للوحدة مُبجلاً للصمت

غايته إذا استصرخه أنين الجوع يأكل أوراق الشجر

وإذا لفحه البرد القارس استدفئ بأوراق الشجر

إلا أنه وفي كل عامٍ عند الخريف كان يسقط ورق الشجر ذابلاً

كانت القرود تسخر منه كلما عبث بين الأوراق الجافة

على ورقة طرية حلوة المذاق

لكنه بين الحين والأخر كان يلتفت خوفاً من الوحوش الكاسرة

التي تتربص بعيداً في دهاء

فقرر العودة حيث أغصان الشجرة العالية

هامساً إلى أحشائه الصارخة

إن الأمان وأنا جائع خير من شبع يعتريه خوف

ظل يتمتم بها حتى أخذه النعاس

ومع أول إشراقة للشمس هبط من جديد

ربما يجد شيئاً يسد رمق جوعه الشره

فأبصرته القرود وألقت عليه قشر الموز

وبعض من فضلاتها وهي تضحك

فأسر سانجو ما يفعلون به في نفسه

ثم وبعد هنيهة قفز أحد القرود خلسة نحو سانجو

ثم استلقى على غصن وأدلى بذيله

فأنتبه سانجو لذلك وقال أجئت تسخر مني ؟

قال القرد كلا بل جئت لأقول أنك بذلك تقتل نفسك

وغداً تصبح نحيلاً فريسة سهلة للضواري وأخشى عليك

ثم أعقب ، لكن لما لا تأكل معنا ، وهل الموز حرام أكله ؟

فرد سانجو قائلاً نعم ، فقد قرأت قوانين قبيلتي

وأنها تنص أنه من أكل من طعامنا فلا يجوز له

أن يلوم أو يعاتب أو يشجب

وقد رأيتهم منذ زمنٍ بعيد كانوا يرحلون إلى أشجار الموز

ويجلبون ما طاب لهم

ولا أنكر أن الخير وقتها كان وفير

لكن وفي ذات مرة ولأجل موزة بعيدة

أسقطوا عشاً لطائر فوقع الفرخ الصغير

قلت لنفسي ، أنا شريكهم إذاً في تلك الجريمة النكراء

ولما هممت بشجب ما حدث

قالوا أونسيت يا سانجو قوانين قبيلتنا ؟

قلت بلا ، لكني لن أغفر لنفسي تلك الخطيئة

ولن أغتال البراءة بعد اليوم

قالوا أنت إذاً مطرود من القبيلة

ولن ندافع عنك بعد الأن إذا ما هاجمك نمرٌ أو أسدٌ أو ذئب

فأنت بشجبك هذا قد كفرت بقوانيننا وذهبت عنك نعمتنا

هذا ما حدث أيها القرد الطيب وحقاً لست بخانق

إن الحياة التي أرى فيها المآسي الأن

هي تلك الحياة التي أهدتني رحابها وأفراحها

وإنما هو امتحان وعليَ أن أجتازه

فإذا لم أصبر على البلاء فكيف أقيس صبري إذاً ؟

وما فعلته كان خشية من رب الأرباب ، لذا لست مستاءاً

قال القرد   لا أعرف ماذا أقول وماذا أفعل لك

سوى أن أدعو أن يقف القدير إلى جوارك

ثم ذهب القرد بعيداً ببطئ واستحياء

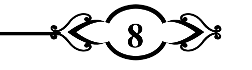
وعاد سانجو

ليبحث من جديد عن ورقة شجر لم يبليها الخريف بعد

لكنه لم يجن سوى خيبة أمل

ولما بان له ضجره ويأسه عاد إلى رشده هامساً

" لكني على يقين أن البقاء في تلك الحياة مقرون بالأمل "



ها قد مر يومان لم يأكل سانجو

وفي صباح اليوم الثالث هبط مرة أخرى من الشجرة

وما أن انكفأ على الأرض ليفتش فيها عن ورقة واحدة

حتى سقطت على ظهره أوراق كثيرة

بين الفرحة والدهشة رفع رأسه

فوجد طائر " ببغاء الأمازون أحمر الذيل "

قال له سانجو من أنت ؟

قال الببغاء

أنا يا سانجو أعرفك منذ نعومة أظافري

أنا هذا الطائر الذي سقط من العش ولم أنس قط هذه اللحظة

عندما وقفت أنت أمام قبيلتك لأجلي كنت أسمع حديثكم

اتسعت حدقة عين سانجو من الدهشة والذهول

قال الببغاء لا تندهش يا سانجو

سوف أسرد عليك كل شئ

الحكاية هي

عندما سقط العش بي لم أهلك كما ظننت أنت وكل القرود

بل تلقفتني عناية السماء

فوقعت على أرض طينة رخراخ فلم يصيبني مكروه

ثم أتت أمي بعد ذلك فحملتني بين جناحيها

ووضعتني في عشٍ جديد بعيد عن الخطر

وحقاً يا سانجو وكما أن عناية الرب من أهدتني الحياة

هي أيضاً من أهدتني الحياة لأجلك

ثم أَظهر الببغاء من خلف جناحه موزة وقال

ومن الأن يا سانجو أكل الموز ليس حراماً

وعليك أن تتقبل هديتي لك

ثم قال الببغاء مقهقهاً أنها موزة ليست كما موزكم

أنها من الأجمة البعيدة ، أجمة الحب يا سانجو

فضحك سانجو كما لم يضحك من قبل

ثم هتف من أعماق قلبه نعم يا صديقي الببغاء وحقاً

إن المروءة لن تضيع بين قلوب تعي الحب وإن فاعلها لن يخسر

ثم نظر إلى السماء بقلبٍ راضٍ

أشكرك أيها الرب المطلع على قلوبنا

وأثناء ما كانا الإثنان يتبادلان الحديث عن رحلة الحياة بهما

وأن ظل الحياة الكئيب هو من جمعهما مع نور الأمل

كانت قد انسلت قبيلة القرود في صمت تسمع وترى

ثم أخذهم البكاء   وكأن السماء تمطر ندماً

كانوا يبكون بكاءاً شديداً سمع نحيبه سانجو والببغاء

ثم وقفوا منشدين

اغفر لنا أيها الطائر المزركش البديع

وأنت يا   سانجو   قد نصبناك راهباً وحاكماً فينا

أيها القديس أن ذنوبنا وإسرافنا هو ما باعد بيننا وبينك

وقد عرفنا خطأنا الجسيم وإن لم تسامحنا سنقتل أنفسنا الآن

قال سانجو   يا قبيلتي   يا أبناء عمومتي   قد سامحتكم

فما الحياة إلا عبر ودروس

(أحزان بحارٌ حكيم)

ذات يوم سألت حكيماً

أن لي حكاية وددت أن أقصها

ربما أزحت عني بعض الهموم

لكني أخشى أن سري أسرده

لرجلٍ غبي يجعل منه حديث كل مساء

قال عليك ومرفأ الصيادين

ابحث عن بحــارٍ أكل منه البحر وشرب

يمضي وحيداً ويعود وحيداً

وقبل أن تقص عليه قصتك

اثقب قاربه ثُقباً لا يتداركه

وهناك بعيداً حيث الأعماق

يغرق هو ويسكن سرك معه

ثم اعقب ، لكني أخشى عليك من بعض هواجس

قلت وما هي أيها الحكيم ؟

قال أن يتمتم به لأصدقائه النوارس

أو ينقشه في دفتر فتعرفه جموع الأسماك

أو يجئ بعد زمن مستكشفي القوارب الغارقة

فيعرف وقتها كل الملاحين

قلت وأين السبيل أيها الحكيم إذا ؟

قال لا سبيل سوى أن تكون أنت هذا البحـــــار وتلك الأعماق

فعلت كما قال لي ومر العمر

وفي ذات يومٍ جاءني شاب

قرع خطواته ذكرتني ما كان

ثم جلس بجواري وهمس قائلاً

لي حكاية وددت أن أقصها عليك أيها الحكيم

فضحكت قائلاً

أعرفها أيها البحـــاار الصغير

(مؤامرة بين غراب وذئب)

في ذات يومٍ اتفق غراب مع ذئب

قال الغراب

ما رأيك أيها الذئب أن أغوي إحدى النعاج

وأجعلها تترك القطيع وتبتعد عنهم ثم تنقض أنت عليها ،

قال له الذئب ولعابه يسيل بين أنيابه

إنها لفكرة رائعة يا صديقى

ثم أعقب ولكن ما الفائدة التي ستعم عليك ؟

قال الغراب

أنا رضيت ببعض الفتات المتبقية منك

ألا ترى الفارق الكبير بيننا ؟

وقتها شعر الذئب بحاجة الغراب له

فقال باستعلاء ، أوافق لكن بشرط

أن تختار من النعاج أسمنهم

فهز الغراب رأسه مبتسماً وطقطق بمنقارة " اتفقنا "

في اليوم التالي وقف الغراب على رأس إحدى النعاج

هامساً في اذنها تعالي يا صديقتي

فهناك خلف التلة تكثر المراعي والعشب الوفير

لكن إياكِ أن تبوحين بهذا السر لبقية القطيع

فقالت النعجة مستهجنة وقد استطرقت بأذنيها

ولما لا أرشدهم طريق الخير كما تفعل أنت معي ؟

فقال في إرتباك ، حتى يتثنى لكِ أن تغنمين منه مع الأيام

وهنا سكتت النعجة لبرهة ثم نظرت للغراب باسمة

كيف لي أن أشكرك يا رفيقي

لكن قل لي ما الفائدة التى ستعم عليك ؟

قال الغراب يكفي أنكِ ستكونين قوية وتحملينى حيث تمضي

فأنا أصبحت لا أقوى على الطيران كما السابق

خلف التلة كان الذئب ينتظر

وما أن رأى رأس الغراب تهتز كأنه يعلو سنام الابل

حتى بدأ يكشر عن أنيابه

ولما رأت النعجة العشب انطلقت دون إدراك لأي خطر

على حين غفلة من النعجة الجائعة إنقض الذئب

وما إن لفظت الضحية أنفاسها الأخيرة

قال الغراب للذئب وهو يقف على مقربة من المؤدبة الكبيرة

لا تنسَ إتفاقنا يا صديقي ، كي أجلب لك كل يوم إحدى النعاج

قال الذئب واللحم يتدلى من بين فكيه اتفقنا يا صديقي اتفقنا

ثم دحرج عينيه إلى الفريسة هامساً نِعمَ الصديق أنت أيها الغراب

وظلا هكذا ومرت الأيام ولم تبق سوى نعجة واحدة

فقال الغراب في نفسه

لم يعد من القطيع سوى واحدة وعليَ أن أدخرها كلها لي

في ذات الوقت فكر الذئب

أنها نعجة واحدة وبعدها ستنتهي صداقتي مع الغراب إلى الأبد

لكن الغراب كان همس للنعجة أنه يوجد خطر على حياتك هنا

وعلينا السفر في خلسة إلى أرضٍ بعيدة

في هذا اليوم اختبأ الذئب كعادته خلف التلة

لكنه أحس أن الغراب لم يظهر

فصعد مسرعاً فوق التلة

فإذ بالنعجة تمضي بعيداً إلى الصحراء المُقفرة

ويعلو رأسها الغراب

اغتاظ الذئب وكشر عن أنيابه صارخاً

لقد ضحك عليَ ذو الأجنحة معاق السير

ثم انطلق ورائهما كالرمح الغاضب يشق الأثير

وما إن لحق بهما حتى هرولت النعجة مُرتاعة

والغراب يصيح لها إن الموت يعدو خلفكِ فأسرعي أيتها النعجة

في تلك اللحظة وثب الذئب عليهما فأصبحا في قبضة مخلبه

بين ضحكاته وارتعاش النعجة ويأس الغراب

وجدوا أنفسهم الثلاثة يغوصون في الأرض

فتلفتوا يميناً وشمالاً

فرأوا أنهم يغوصون في بحرٍ من الرمال المتحركة

ارتعدت فرائسهم الثلاثة

فقالت النعجة خذوا ساقي على أن تخرجوني من هنا

وقال الغراب محدثاً الذئب

أيها الذئب خذ كل النعجة وأخرجني من هنا

فقال الذئب لهما بل سأهبكما الحياة على أن تخرجاني من هنا

وقتها هبط نسر على حافة الرمال المتماوجة هاتفاً

هكذا هي صداقة المصالح " تغرق دائماً "

(مملكة النمل)

كانت هناك مملكة للنمل

تتطلع لبناء مزيد من الأدوار لاستيعاب الحشود الهائلة

من جيوش النمل العامل والحارس والمقاتل

ذات شتاء أمتطرت السماء أمطاراً غزيرة غير كل الأعوام السابقة

أحد المراقبون من الحراس صرخ أن الخطر يداهم المملكة

إستنفر الجميع ، وأخذ الحراس يلتفون حول الملكة

كل الجيوش تأهبت لهذا الدخيل

مسرعة دخلت نملة كانت بالخارج وقالت

إن هناك على بعد أمتار جرف عظيم

فلا تبتئسوا من هول المطر ، حتماً سيمضى بعيداً

ثم جاءت أخرى صارخة

إن هناك مملكة أخرى على مقربةٍ منا تضع سداً وذلك سوف يغرقنا

قال أحد الحراس وهو مغتاظ لذلك

ونحن من كنا نحسبها مملكة صديقة !!

لابد من محاربتها وإزالة هذا السد المميت

بعد هنيهة دخلت نملة من النمل العامل

وقد ظهر عليها علامات الإعياء وكانت ترتعش

قالت ، كدت أن أغرق وأنا أسد الثقوب بمملكتنا

فقالوا لها جميعاً وفي نفسٍ واحد

وقد بدا عليهم الدهشة المغلفة بالسرور

قالوا   من أين أتيتِ بالطين اللازم لذلك ؟

قالت   رأيت سداً لم يكن موجود من ذي قبل

عند جرف قريب من مملكتنا

فأخذت منه ما يكفي لحماية المملكة

وقتها صاحت كل المملكة بالفرحة

وضحكت الملكة قائلة

إنها عناية السماء

(حواري مع البومة)

في لحظة ملل من واقعي الهذلي

وجدت خطواتي وقد أخذتني نحو الغابة المترامية عند أطراف مدينتي

والليل قد أسدل ستائره

فى هذا الظلام الدامس لا شئ سوى بريق أعيُن هنا وهناك

وأصوات خافتة تصمت لصوت الذئاب المفزع

ها هي البومة تُلقي بجسدها المتعب أعلى الشجرة

والأشجار هنا تقف كأعمدة النور الخربة

نظرات البومة يعلوها التنصت وأشباح الليل تتراقص بداخلها

حقاً إنها فارس الليل الأسود صديق الأشباح

والأشباح لا تعرف سوى صمت الظلام

فهل عليّ أن أُسامرها كى تتلاشى مخاوفي ؟

لكن الخطى مُثقلة ، فقد كان العمر بين تضحيات وأمنيات

وبخطى الراقصة التى تغوي زبائنها اقتربت

أسفل تلك الشجرة أوراق ذابلة

وبين الثرى بحيرة من دموعي المهزومة

أغمضت عيني من البرق المُرسل من أعين تلك البومة

قلت بصوت مُتحشرج ، كيف لا تخافين هذا الظلام الحالك ؟

قالت ، وكيف أخاف عالمي ؟

ثم أعقبت وهي تنفض الغبار عن جناحيها

لكنكم يا بني البشر تخافون عالمكم

تخافونه لأنكم تحييون كل الوقت

قلت لها   ما معنى كل الوقت ؟

قالت   إنكم لا تستوعبون درب الكائنات بعد

فالشمس تتضح بالنهار لتضيئ فسيلك فى ضوءها كائنات

والقمر يبدء دورته فيسطع بين النجوم

لترحل كائنات إلى السكينة وتنسل أُخرى

بعينين شاخصتين تلفت على صوت فحيح أفعى

إنها أفعى رقطاء تختبأ بين قدمي

خائفة هي من البومة الجائعة ، وأنا أختبأ بداخلي

فالسم يحيط بى والمحكمة منتصبة فوق رأسى

قلت وأنا أحاول أن لا أخطأ فى الكلام أو أصرخ من تلك الأفعى

فربما أُثير أشباح الغابة أكثر

أو يظهر لي أسد شرس جائع ليس بمستكين

كما تلك الغافية بين الحشائش

قلت ، لكنها سُنة الحياة

قالت في غضبٍ

وهل سُنة الحياة تجعلك شجاع نصف اليوم وجبان فى نصفه الأخر ؟

قلت ، لكني لم أكن جباناً قط !

قالت مقهقة أراك تترك السم يحيط بك وأنت في تخاذل تستكين

إن الخوف من الموت أخافك من أن تمارس طقوس البقاء

ولو أنك رفعت قدمك المثقلة إلى الأرض

لمضت الأفعى بعيداً وذهب نصف الخطر

ولكنكم يا بنى البشر تمارسون الشئ كله

فالتجرع من زجاجة الخمر لا يُسكر

بل يُسكر جلب شيئاً معها من الذكريات المؤلمة

قلت   وماذا عليَ أن أفعل الأن ؟

قالت كن مثلى ، فأنا أحيا النصف الغامض من دورة الكون

فهناك فى السماء الشهب تنتظر الانطلاق

وحقاً إن حياتي تلك كما المسرحية

لا تكتمل إلا بدور المُلقن الذى يُصحح الأخطاء

فلا أترك الزواحف الخبيثة

ولا القوارض التى تقرُض أشياؤنا الثمينة

قلت   سوف أذهب

قالت   إلى أين ؟

قلت   انتظر النصف المضئ

(الآلـهة الثلاثـة)

ذات يومٍ مضى رجلٌ حيث أسقاع الأرض البعيدة

وقد قرر أن يلقى بنفسه من أعلى جبل لينهي حياته

وعندما وقف على حافة الجبل

هرولت إليه الآلهة الثلاثة بأعينٍ تترقب ماذا سيحدث

قال الأول

لقد خرج عن طاعتنا وعلينا أن نُصليه ويلات العذاب

قال الثاني

ولما لم نتدبر أمره من قبل ربما لم يكن ليفعل ذلك أو يقدم عليه

قال الثالث

علينا أن نصلى لأجله

ربما تلقفته أيدي العناية فعاد إلى دياره

وعندما هوى الرجل

سقط في بحيرة عميقة

لكن للحياة مذاق في فم من يغرق

فزادت مخاوفه من الغرق

إلا أنه لم يكن يعرف فنون السباحة من قبل

فظل يصرخ أيتها الألهة انقذيني

فإذ بجزع شجرة يطفو على سطح الماء

كان يتهادى مع التيار العنيف فأمسك به

ثم ألقى بجسده المبلل عليه

وبعد أن هدأت سريرته

رأى أن الجزع كان يمضي مندفعاً

نحو منحدرٍ نهايته عند شلالٍ هادر

وقتها أدرك أنه هالك لا محالة

إلا أنه تشبث بالجزع أكثر

فقال الإله الأول

بينه وبين أن أعاقبه فرسخ واحد

وقال الثاني

علينا فعل شئ لنجدته ،

فكيف لنا نحن ألهة الرحمة أن نتركه يلقى حتفه ؟

أما الثالث فقال

يجب أن ندركه بسرعة ونعرف لما أَقبل على الموت

فجاءوه في صورة رجال تمضي بمحاذاته عند ضفة البحيرة

قال الإله الأول

ما أوقعك أيها الأبله ؟

وقال الثاني

على بعد أمتار ينتظرك الموت فقاوم من أجل الحياة

قال الرجل ، وأي حياة تلك ؟

وأنا لم أرى منها سوى كل ما هو يدعو إلى الموت

قال الإله الثالث

إن تلك المياه التي تحملك

إنما ترحل لتنتحر عشقاً لأجل بقاء هذا الشلال الذي ترحل إليه

فقل لي لمن أنت تموت ؟

إن حياتك من أجل الأخرين تضحية وموت مشرف

فاستجمع الرجل قواه وظل يجدف بيده ضد التيار الشديد

حتى وصل إلى بر الأمان

فأخذ نفساً عميقاً

ثم استلقى بين الحشائش

فرأى نبتة صغيرة تشق الأرض حباً في الحياة

فنظر إلى السماء قائلاً

كم أُحبك أيتها الحياة

وقتها أمطرت السماء

(البـهلوان)

أمسك بالزانـة   ثم مضى على حذرٍ

النـاس في الأسفل تـهلل وتترقب

كان يعرف أن هنـاك من يـهمس

ماذا لو وقع هذا البـهلوان ؟

تلجلج في الخطى

بين صراخ النـاس ووجومـهم

قال فى نفسه مـاذا لو إهتز على حين غفلـة مني هذا الحبل ؟

ثم نظر بعيداً حيث تلوح لـه حياتـه أن أَقبل

فهمس إلى ذاتـه   إن هذا الحبل نـهايتـه بداية حيـاة لي

وإذا ما سقطت سألقىَ حتفي وانتـهي صريع أضحاك النـاس

فضحك الحبل قائلاً   ما بك يا رجل ؟

إني لأراك تخافني اليوم ، أم أن حب الحياة جعلك تخشاني ؟

أسمعني جيداً

الحرية يا صديقي هي أن تتخلص من عبادة الحياة

فما أروع صلاتك هنا بين السماء والأرض

أجعل ما في يديك كتاباً مقدساً وقلبك محراب نور

فهيا تقدم ولا تذعن مرة أخرى لنفسك فإن حديثها لقاتل

ولا تُبصر الخطر فتسقط فيه

فقط شاهدني وأنا أقف صامتاً لأجلك

ففعل البهلوان كما أوصاه الحبل ومن ثَم انتهى حيث النهاية

وقتها صفقت كل الناس بشدة وظلوا يهتفون ببراعته

والحبل أهتز فرحاً

فنظر المهرج للحبل وظل يضحك

قال الحبل ما الذي يضحكك هكذا أهي فرحة العبور ؟

فقال المهرج كلا لكن ماذا سيكون مصيرك لو أفلتك أنا الأن ؟

قال الحبل لو فعلت ستكون أسديت لي خدمة كبيرة يا صديقي

فأنا حقاً تعبت من حماقة المهرجين

(تحت ظل شجرة)

ذات يومٍ كنت جالساً تحت شجرة

آوي إلى ظلها

فاقترب مني رجل هرم يتعكز على عصاه

وأخذ يحدق في وجهي وكأنه يعرفني

رغم أنني أجهله لم أقل شيئاً ولم أسأله من أنت

ظل ينظر لي بتملق وعيناه تجول في كل ثنايا وجهي

كبحارٍ تائهٍ في بحرٍ لُجٍ كان يفتش في خرائطهِ عن جزيرة

يحتمي إليها فتكون له النجاة

كان يشبهني إلى حدٍ كبير

قلت في نفسي ربما يرى فيَ صباه

ثم لاح بوجهه عني ناظراً إلى السماء وهمس متنهداً

كنت أجلس هنا منذ قرابة عشرين عام ، ثم سكت

فنظرت له فإذ بعينيه وقد اغرورقت بالدموع

فقلت بصوت العطف   أكمل

فنظر إليَ ثم إلى أغصان الشجرة وقد انهزمت دموعه

لن يستطيع كبح جماحها فانهمرت كالسيل يعلن قدومه

وقال بصوت تعلوه الحسرة والشجون

ذات صباح كنت أجلس هنا أنا وزوجتي وابني تحت هذه الشجرة

كانت الشمس تشرق في قلوبنا بالحب

وبين الأغصان كانت ترفرف من فوقنا السعادة

وقتها كنت أنا وزوجتي نتسامر الحديث ضاحكين

وقد أسندنا رأسينا إلى جزع الشجرة

وكان ابننا كما الكروان المغرد يشدو من حولنا ويمرح

كنا نرى فيه الأمل والغد البهيج

كان إذا خطى خفق قلبينا   وإذا ضحك أشرقت الشمس

وإذا ما تلفت لنا رأينا فيض الحب يغمر المكان

غير أنه وعلى حين غُرةٍ منا اختفى

وكأننا كنا في ليلةٍ مقمرة

ثم وفجأة تخطفت الغيوم أنوار القمر فأظلمت السماء

ظللت أنا وأمه نصرخ ونبحث في كل مكان

وكأنه يوسف النبي في جماله وكأنه يوسف عندما ضاع مني

كان الحزن يعتصر قلبي ولكن كنت أكتمه لأجل أمه

التي كانت تنام ولا ينام نواحها

كشجرةٍ اقتلعها الحزن عندما جف عنها الجدول العذب

وفي يومٍ كئيبٍ رحلت زوجتي بعد أن فقدت عينيها من أثر الدموع

رحلت تاركة إياي أُجابه وحدي قساوة الزمن

عشرون عاماً لم أضحك ، عشرون عاماً وأنا أجئ إلى هنا

ثم سكت عن الكلام وعاود النظر لي

فأخذت أتطلع فيه أكثر

لكنه قاطع نظراتي الصامتة بصوت الشجون قائلاً كم عمرك ؟

فقلت أبلغ من العمر خمسةً وعشرين عاماً

فقال وهو يزيح عن صدره حجراً إنك في عمره لو كان حياً

ثم أعقب ولما تجلس هنا يا بني في ذات المكان ؟

قلت إن حكايتي قريبة من حكايتك

غير أني أعرف أبي وأمي لكنهما كانا مسافران

مسافران ولم يعودا بعد

هكذا قالت لي السيدة التي ربتني وحقاً كم غمرتني بحبها

وكانت تأتي بي إلى هنا وتبكي وأنا لا أعرف لما كانت تبكي !

ثم مرضت بداءٍ عضال وماتت وحزنت لرحيلها فكنت أراها أمي

والأن أجئ إلى هنا ربما عرفت لما كانت تبكي

غير أن للفراق غصة في النفس لا تهدأ إلى مع الدموع

عندئذٍ صدح عصفور فنظرنا أنا وهو إليه

فإذ بعصفورٍ يطعم صغاره ويرويهم حباً وحناناً

فضحكنا معاً

فقال لي إنها أول مرة أضحك فيها منذ فراق ابني

ثم فاجأني بصوت المتوسل الخاضع

ما رأيك يا بني أن تصاحبني فتكون ابني وأكون أباك

فلم يبق في العمر إلا كما بقاء ورقة الشجر التي أذبلها عناء الشتاء

فقلت له لا تتوسل

إنها مشيئة الرب أن تجدني وأجدك

أن نضحك هنا في ذات المكان الذي بكينا فيه

ثم تعانقنا ولم أُدهش أنه أطال عناقي

فكنت أنا أيضاً على هذا النحو من الإشتياق للحنان

وعندما أمسك بعكازه ليتسند عليه

قلت له من الأن لا حاجة لك به

وتركناه إلى جزع الشجرة ثم مضينا

(حدأة)

ذات يومٍ قررت حدأة حمراء أن ترحل بعيداً عن حياة الجبال

لأن العمر قد تقدم بها وأصبح جسدها هزيلاً

لا يقوى على حرارة الصخور ولا التحليق لمسافاتٍ بعيدة

فقررت أن تُعشش على إحدى الأشجار القريبة من المدينة

فأعشاش الطيور كالحمام وجبة دسمة

والفئران تكثر هناك حول صناديق القمامة

فأطلقت جناحيها للرياح

فتراءت لها من بعيد شجرة صفصاف تقف منتصبة عند ضفة نهر

فأسعدها ذلك حيث أن المدينة على الجهة الأخرى للنهر

قالت في غبطةٍ إنه لمكانٍ رائع

فهو قريب بالقدر الذى لا يرهقني في جلب الطعام

وما إن اتخذت من شجرة الصفصاف مسكناً لها

حتى أخذت تلملم بعض الأغصان الجافة

فيكون وكراً ومهبطاً

ومكان تستدفئ فيه من برودة الشتاء القارس

في ذات الوقت أخذ ذلك عناء يومٍ كامل

ومع صباح اليوم الجديد قررت أن تبحث عن وجبة لها

فمنذ ثلاثة أيام لم يتخلل أي طعام أحشائها

وما إن حلقت حتى رأت فرخاً صغيراً عند الضفة الأخرى للنهر

كان يجول خلسة بين الحشائش

فانقضت عليه بمخالبها

ثم مسرعة حلقت إلى شجرة الصفصاف

كانت وهي تأكل تتذكر تلك الليالى المضنية التى قضتها في العراء

والعناء الذى لطالما أرهق جناحيها في رحلات البحث

عن وجبة تسد بها شراهة الجوع

وما أن غفت

حتى جاء عمال الطرق لقطع الأشجار المعمرة لتوسيع الطريق

فرأت نفسها تتهاوى هي والعش

فلاذت بالفرار وظلت تحلق في السماء

لكنها همست لذاتها أن العيش هنا فيه مخاطر وهلاك

يجب أن أعود حيث خرجت للنور

حيث الأمان وراحة السريرة

ثم تمتمت وهي تمضي

حقاً إن الحياة بجوار البشر لهي نقمة وبلاء

وأنا من كنت أظنها نعمة من السماء

فما أجملكِ أيتها الصحاري المقفرة الجدباء

فبرغم ندرة رغد العيش

إلا أنكِ النعيم بعينه

(سمكة المهرج)

كان هناك في أعماق البحر تسكن سمكة المهرج

عندما خرجت للحياة ظنت أنها سوف تسبح مع الأمواج

وترقص عند شواطئ الفرحة

لكنها أدركت مع الأيام أن البحور ما هي إلا عالم مخيف أسود قلبه

لا يعرف سوى كيف يغتال الفرحة

قالت محدثه نفسها

لمن أكون مهرجة والكل عبوس الوجه صلد القلب

ليتني ما كنت مهرجة ولا كان هذا أسمي ولا تلك هي ألواني

حسبت أن أسراب الأسماك ستمر أمامي

وأنا أستعرض رشاقتي أمام أعينهم

ما كنت أعلم أن العيون تترصدني فقط للفتك بي

فلما استدارت برأسها رأت بعيداً شقائق النعمان

تتمايل وحدها في سكينة

وكأن أحد الموسيقيين أودع سيمفونيتة لديها

وأوزع لها أن تكون هي كل الآلات

مسرعة هزت ذيلها فرحاً

وجدفت بزعانفها طرباً حيث الفرحة

وما إن وجدت نفسها أمام خُيلاء البهجة

حتى قالت هامسة

يا شقيق   ما حسبتك ابن أم

لكني الأن ايقنت أنك شقيق في ذات الأحلام

قالت شقائق النعمان وهي تتمايل

أنه أثير الحب القادم مع المد البعيد

ولأني أحيا السلام بداخلي فقد رق قلبي

فما عدت أرى إلا الحب

إن الحب الذي يولج ناشداً ذاته لا يموت

ولا يفل مع رحيل الشمس

لذلك مكثت مكاني وتركت سيقاني تنشده

ربما علقت إحداها بأطياف الأمل

قالت سمكة المهرج

أعيريني أيتها الشقائق سكناً عندك أطل منه على نور الشمس

وأتركيني ألتصق بكِ فأتمايل معكِ عندما يُطرب المد قلبينا

ثم وقفت حيثما ترى الحب يتمايل مع سيمفونية المد الهادئ

هاتفه من أعماقها

طوبي لمن وهب نفسه للحب

بل طوبى لمن أصبح يدرك أن مكنونه حب

هنالك تمايلت شقائق النعمان لتغمر سمكة المهرج الفرحة

هنالك اشتد تيار المد

فعزفت أرواحهما قيثارة حب

(دماء وحكام)

كانت هناك معركة طاحنة تدور رحاها بين مملكتين

وكان من أشعل فتيل الحرب ملكاً لإحداهن

أراد أن يضم لسلطانه المملكة الأخرى

فوقفت فوق رابية عالية وأمسكت بسهمين

وقذفت بهما إلى صدر مُتبارزين إثنين فسقطا

فالتفت الجميع نحوي

فصرخت فيهم قائلاً

أيها المتحاربون

إن الحروب مأتمة الرجال

وميتمة الأطفال وترميلة للنساء

أيها المتحاربون

أما إذا كان القتال لعقيدة

فالعقيدة سيفها الواعظ النبيل والحق يبتر الباطل

وإذا كان كيد كائد   فالكيد عمل الشيطان

فانثروا الماء في وجوهكم

وأما إذا كان نضال لأجل أرضٍ أو مالٍ أو عرضٍ فأنا معكم

ابتروا أعناق النفوس الشريرة

كي تنعم أطفالكم في سلامٍ وأمنٍ

وأما إذا كان أطماع حاكم فارشدوني أين هو

فصرخ الجميع أنه في خيمته هناك

فذهبت إليه مُتحسساً خطاي

فسمعته يصرخ في وزراءه

بثوا في الجنود العزيمة

وانشدوا أمامهم أمجاد الأجداد

فلا يحق أن تهوى مملكتي الآن

في خلسةٍ ودون رؤيتي من حراسه

دخلت عليه وهو مكبل بقيود الخوف والحيرة

قلت أيها المستبد المتخوم بدماء رعيتك

هم ليسوا عبيد أهوائك

إن الملك الحق هو الذي يسيل دمه لأجل شعبه

فيكون مخلداً فيهم

وأنت قد أضعت ذكراك

ثم قطعت رأسه

وما أن رفعتها عالياً حتى انتهت المعركة

وتلاشى صهيل الخيل وضاع الغبار

(روزلانا)

يوماً كنت أمضي بين القبور كعادتي قبيل الغروب

فاستوقفني شاهد قبر منقوش علية اسم فتاة تدعى " روزلانا "

وعليه نقش أنها رحلت منذ قرابة ستة قرون

وحدها تساؤلاتي من دوت في هذا الصمت الكئيب

كيف لم أر هذا الضريح من قبل

وهذا المكان يشهد بنعاس ظلي ؟

بيدي أزحت بعض التراب المتراكم

أدهشتني بقايا تلك الملامح الوديعة المنقوشة على الرخام

أخذني الفضول فأزحت كل التراب

فإذ بكلمات مكتوبة تقول فيها

" أن خطواتي لا تُدرك

أنا خلف المدى البعيد

أنا أنشودة العالم الأخر

أنا حبيبة زائري

أنا معشوقة من جاء يوقظني

وغداً أراه قريب

غداً تنفك أرواحنا بعيداً "

كدت أجن فتلك روح تعرفني

تلفت مسرعاً يميناً وشمالاً لا من شئ

ثم وفجأة اهتزت الأشجارالتي تنتصب حزناً هنا

فإذ بطيف تشق ستائره البيضاء الضباب الكثيف

تخفق أجنحته بعيداً كشراع يسافر ومن ثم يختفي خلف الأمواج

فرحت أكمل قراءة تلك الكلمات

" أنت تعرفني

إن حب الأرواح لا يعترف بزمن

لا يعترف بتلك الملامح التي تراها الأن

فلا تفتش عني هنا

فأنا هناك انتظرك منذ زمنٍ بعيد "

قلت لنفسي وقد ترنحت قليلاً

أيعقل ما أرى ؟ أمعقول تلك الكلمات لي أنا ؟

وكأنها كلمات تهتف بداخلي

وكأنها نابعة من أعماق أعماق نفسي !

أنا

أنا من كان يبحث عن حبٍ كما الأثير لا ينتهي ولا يُرى

ثم أصغيت لهذا العقل الذي همس لي

ربما تلك كلمات لحبيبٍ لها كانا يمضيان معاً

فسمعت همساً يحف أوراق الشجر

" إن القارورة التي تختزن الماء يأتي لها العطشى

وأنا لست بقارورةٍ إلا مع من توحد بروحي

كان الماء هو حب الأرواحِ المقدس "

قلت إذاً هو أنا

أنا يا روزلانا

ولأني أحبك سوف أطمس أغوار ما قرأت

فلا تراه عين غيري

بل وسأخفي ملامحكِ فلا ينقشها القمر في السماء

وعذراً يا روزلانا

فأنا مازلت أحمل حماقة الأحياء

لذا عليّ أن أمضي لأودع حقيقتي الكاذبة

كي أحيا هنا راهب في محراب عشقكِ الأبدي

(طهارة)

يوماً رمقت بعيني امرأه فاتنة الجمال

كانت تسأل الناس فأعطيتها درهمي

فقالت   كيف أشكرك يا سيدي

قلت   لا تشكريني بل هبيني نفسك لليلةٍ واحدة

قالت في غضبٍ يئن

ولو كنت كما تظن فلما أجلس هنا أُصعر خدي للناس ؟؟

ثم أزاحت عن نفسها الشجون

ونهضت هاتفة كالراهب يعظ الناس

أعلم أيها المولع إن طهارتك تزيح عنك السحب السوداء

فتصيبك أنوار القمر

واعلم أن نضارة العفة كالشلال الهادر

ووقاحة النفس كمستنقعٍ موحل

فأيهما ترضى لي ؟؟؟

قلت   أيتها القديسة وكيف لي أن أتطهر من خطيئتي ؟

قالت   إن كأس النبيذ الذي يسكر الناس في حانة الخمور

لا يعرف سوى أن يكون ثِملاً

لكن أخر الليل قليل من الماء يطهره

قلت   فهل لكِ أن تقبليني زوجاً ؟

قالت   لا يحق لي

فلي أطفال مات أبيهم وأنا أحيا لهم

فأعطيتها كل دراهمي   وانصرفت وأنا أردد

أحب الرذيلة التى تسقطني في طريق التوبة

عن الفضيلة العمياء التى قد تجعلني مذنباً لا يعي الطهارة

وحقاً تلك هي الفضيلة

(مطر)

ذات يومٍ كنت أمضي في سوقٍ مزدحم

فإذ بسيدة أراها من بعيد بدت لي فاتنة

كانت تنظر لها العيون بنهم

لكن وما أن أمطرت السماء حتى زالت عنها بعثرة المساحيق

وقتها غفت عنها العيون

كما يتطهر لص عن سرقة خزانة خاوية

بين خجلها لما اعتراها

انبثقت أمامها قائلاً تبدين الأن أجمل

وها قد جاء الشتاء ليغسلنا من نفاق الزمن

كما يزيح عن الأشجار أوراقها الذابلة

فابتسمت لي ومضت

ومضيت أنا أيضاً أغتسل بـ ماءِ المطر

(منتصف الليل)

في الوادى البعيد   منتصف الليل ساعة ساكنة صماء

لا يُسمع فيها إلا هدهدة الريح للرمال

وهناك خلف تلك الكومات

التي نُقشت لبعض الكائنات على أنها جبلٌ عظيم يكون الموت

وأحياناً تكون هي الحياة

الجميع يصنع وكراً والجميع يحصن دفاعاته

مقابر الموتى الصماء تنتظر القادم

والقمر هو الضوء الكاشف في تلك الليلة لصراع البقاء

التخفي والحذر يسبقان الهجوم

والفريسة قد تكون المفترس

ربما كان القادم حيوان النمس القاتل

عند سفح الجبل تومض عيون حذرة من الإكتشاف

فالذئب لا يخفي نقش قدمه

بينما الخنفساء تمسح خطواتها السابقة

في صمتٍ تسللت حربة العقرب في الظهر

وقَبَلَتْ تلك الحية قُبلة الموت للفأر المرتجف

لا سبيل سوى وضع نُصب تذكاري أسفل الواقعة

مع شروق الشمس لا حياة هنا أسفل سفح الجبل

فالصباح يرسم صمت البراءة وبكر المكان

لكن القمر منقوش على وجهه تفاصيل الحكاية

وبعض نقش على الرمال

هو ما تبقى من صراع البقاء عند منتصف الليل

(حديث الكائنات)

يا كل الزواحف على الأرض

ويا كل الطيور في السماء

ويا كل الأسماك في البحور

استعدوا

فأن البشر فشلوا أن يتعايشوا مع بعضهم البعض

ومنهم من قرر النزوح إليكم

فقالت الزواحف

لكننا أقوام لا نكل ولا نمل من العمل

وأنتم البشر مرهفين ومتخمين بالتفاهة

وقالت الطيور

أن سماءنا لا يحلق فيها إلا من حمل الصفاء في قلبه

وأنتم أيها البشر قلوبكم غلظة يملأوها الحقد والسواد

وقالت الأسماك

أن عالمنا هكذا رغم ما فيه رائع دونكم

لم يأكل أحد منا بني جنسه ولم يخرجه من مسكنه

ونحيا في أسراب تحفها الألفة والحب

ونحن نعلم أنكم ما إن حللتم على ديارٍ

إلا أصابها الخراب

فأنتم من كسرتم شعابنا واغتلتم أحلامنا

عندئذ خرجت زهرة من أكمامها هاتفة

يا معشر البشر

هلموا إليَ أعلمكم الحب

فما بزغت براعمي ونضجت سيقاني

وتفتحت أشواقي وفاح عبيري إلا بالحب

نعم أنه حب الجدول الصغير للأرض المتشققة فارتوت

والحق أقول

إن حب الأرض للعطاء هو من أنجبني وأهداني الحياة

وها أنا بينكم الأن

وحقاً إن لب سعادتي في إهداء نحلة بعض رحيقي

وفرحة فراشة ترقص بجواري

وتكون نهايتي

أن طفلاً ملائكياً قطفني واشتم عبيري فضحك

فمن منكم يسمو بالحب ؟

ويحيا بالحب ؟

ويموت لأجل الحب ؟

(نصيحة راعى الغنم)

أيتها الأغنام أفيضوا على بطونكم من الماء

فإن فضلاتكم هنا تعيد ما تأكلوه

فينمو مع العام القادم وبذلك تجد الذئاب طعامها

وتنقص أعدادكم ضحية جديدة " إنها سنة الحياة "

فإن لم تفعلوا ستموتون جميعاً وأنا معكم

هيا أصعدوا التلال الخضراء

واغنموا ما شاء لكم من حصادها

لكن إذا ما لاح لكم في الأفق شُهب الموت

فلا تصدروا صوتاً ولا صرخة خوف

حتى لا تُثيروا عليكم قطيع الذئاب

فتخيروا من بينكم نعجة وقدموها قرابين للسماء

كى ننجو جميعاً حتى العام القادم

ففعلت الأغنام كما أوصاها الراعي

غير أنه في هذا العام

لم يعبر من هذه المنطقة قطيع الذئاب كعادته كل عام

لكن الراعي كان يجمع الأخشاب ليوقد بها النار

وهو يرمق بعينه من النعاج أسمنهم وأيهم المكتنزة باللحم

وعندما أمسك بواحدة وهم بذبحها

قالت

لو كنت أعلم أنك ستضحك علينا

لحييت طيلة عمري هزيلة ضعيفة

جعلتنا نخاف من عيون الذئاب

في حين كنت تنظر لنا أنت بأعينهم

ثم صرخت النعجة في النعاج

أيتها النعاج لا تنصتوا لنصيحة راعي الأغنام مرة أخرى

فقال الراعي ضاحكاً وهو ممسكاً بالسكين

إن النعاج تصدق راعيها حتى لو كان ذئب

(صديقي الشبح)

هنا في وادي الأموات

وبعيداً عن الأضواء المتلونة والمنبثقة من المدينة

أحب أن أكون وحدي

أنا وتلك المحاريب الشاهدة على ملامح من يغفون تحت الثرى

فهنا عند حافة الصمت تسكن أشباحنا

مُقتلعة العيون والشفاه وملمس الأيدى الدافئ

هنا لا توجد حرارة كافية كي يتحرك لساني

فالصمت يحمل برودة الأحزان

هنا نباتات لم تزرعها أيدي البشر

حتى لا تذبل حزناً على فراق أحد

بين تلك الحشائش أرخيت جسدي

ربما أنصت لصراخ أحدهم أو عبور طيف

وكي أراقب لحظة التحول في الضوء بين النهار والليل

ما أن بدأ الكرى يحوم ليلف كل السماء

حتى شعرت بأن النعاس يسيطر على كل جسدي المنهك

وقتها سمعت همهمات وأصوات

كسقوط المطر على الأرصفة تطرق أبواب الغابة المسحورة

انتبهت والخوف يبرز من عيني

فوجدت أشباح بين الأشجار الكثيفة

تجر وراءها بعضاً من بقايا أكفانها

قُمت وأنا أتحسس الأرض حافياً

وعلى أطراف أصابعي مضيت حيث شاهد قبري

كان على مقربة مني

فاختبأت خلفه وأنا أجاهد نبضات قلبي الوجلة

التي كانت تكاد تفصح عن مكاني

بين ساحة القبور وتلك الأشجار التي تنتصب

كما مدرجات مسرح روماني

كانت هناك مساحة أظنها كافية بيني وتلك الأشباح

التي تسير خلف بعضها البعض وكأنها فى مسيرة جنائزية

ثم وفجأة توقفوا وخرج من بينهم نفر

كان يتقدم نحوي ببطئ شديد

تملكني الذعر وتمنيت أن أسقط في إغماءة لا أنهض منها أبداً

غير أنه أسرع في خطواته تجاهي

وهو يشير نحوي بأصبع الإتهام

صارخاً أخرج أيها الشبح المُختبئ خلف الحقيقة

ارتعدت أوصالي

وكأني فريسة سائغة سقطت بين أنياب أكلى لحوم البشر

قال اقترب

جثيت على ركبتي أمامه كأسير حرب

جمعت قواي لأختلس نظرة إلى وجهه

فإذ به وكأنه كل الكهوف المظلمة

التي يصرخ فيها صوت الذئاب

كان تجويف عينيه يخرج منهما شُهباً محملة بنار متوقدة

وأصوات الرياح تجوب بين ضلوعه

بصوتٍ حاد كنصل سكين

قال أتحسبنا أشباح ؟؟

تمتمت " كأنكم أشباح "

قال بل نحن الحقيقة لو تعلم

فبينكم وبين أن تكونوا مثلنا

أن تخلعوا عنكم شفاهكم وجلودكم وثيابكم وزينتكم

أن تتحرروا من الكذب والغش والخداع والنفاق

أن تتحرروا من قلاعكم وحصونكم وقصوركم وسروحكم

أن تتحرروا من التفاهة والبلاهة والتخلف والسذاجة

بيننا وبينكم أن تتحرروا من سفك الدماء وشراهة البطون

أن تتحرروا من العدو خلف الزمن

بيننا وبينكم أننا حقيقة كما هذا النصب الذي إختبأت خلفه

لكنكم تعشقون حياة الأشباح

فتخافون الغد وتخافون الموت

وقتها نسيت خوفي

فقلت بصوت المدافع عن حقوق الإنسان

وماذا تعرف أنت عن حياة البشر

أن حياتنا ملؤها العناء لذا نروح عن أنفسنا بعض الشئ

وما يفصلنا أن نكون ملائكة أننا نأكل وننام ونضاجع النساء

قال ضاحكاً وبصوتٍ صدأ وقد ظهرت لي بقايا أسنانه السوداء

" كي تكونوا ملائكة عليكم أن تتخلصوا من بشريتكم الحمقاء "

ثم هتف انظر لنا

لا نملك رداء إلا تلك البقايا

غير أننا تركنا الهواء يمر بداخلنا

كي ينقي جوانحنا من براثن النفاق

وقطعنا ألسنتنا الشمطاء

وسكنا قبواً ضيقاً مفتاحه معنا

نرحل في كل ليلة نتفقدكم ونسخر منكم

وننظر من سيجئ إلينا

كي نجلسه على كرسي التوبيخ

ثم أعقب انظر

انظر إلى بيوتكم صماء خرساء

وأنتم جاثمين بداخلها بقايا أشباح لحقيقة قادمة

ثم قال يا هذا

أخبرهم أنهم أشباح وأن الحقيقة غداً

(مخاوف صياد)

ذات يوم وفي طريقي إلى البحر

وقبيل أن يلج الفجر من رحم الليل

ذهبت كي أخرج شباك الصيد

فإذ بي أرى أثاراً لأقدام ذئب وكأنه يقف معترضاً طريقي

تثاقلت قدماي وخفقت دقات قلبي بشدة

بين مخاوفي مضيت وعيني لا ترى من الدرب سوى أثره

أسرعت في خطايا حتى زادت وتيرة المشي وبدأت أهرول

وكأني في مطاردة مع الذئب ، أثار أقدامه لا تنتهي

قلت عليَ أن أمضي خلفها لأقتص أثره

وأعرف أين يكون وكره فأحترس في المرات المقبلة

مِترينِ كانا هما الفاصلين بين الجبال والبحر

هما تلك المدقات الوعرة

أنا وتلك الأثار كنا نتفادى الصخور الساقطة من أعلى الجبل

وكأن الأثر يتجسد ذئباً

وكأنه دائم الإلتفات لي وهو يجري

وكان ذلك يخيفنى ويجعلني أتثاقل في عدوي

الإنحناءات والمطالع الجبلية

كانت تخفيه عن عيني الساقطة على أثر هرولته

لينتابني الذعر أنه ربما يختبأ للإنقضاض عليَ

الشمس بدأت في الظهور

شيئاً من السكينة يسري بداخلي

لا أعلم لما أتبع هذا الأثر وكأننا في غمرة السباق

مع مرور الوقت بدا العرق يتصبب من وجهي

الطريق ينفسح بعض الشئ وهكذا الشاطئ بدوره يبتعد

لكن وفجأة توقف الأثر

تقوقعت في نفسي وكأني سقطت في فخ

حبست أنفاسي

الرعدة حولتني إلى نُصب إلى مومياء محنطة

عيناي وحدهما من تتلصص المكان

وإذ بي ألمح أثاراً بعيدة قرب الشاطئ

عندئذ أخرجت زفيراً مثقول بحالة إعياء

في خيفة ترجلت نحو الشاطئ

تذكرت وقتها الأساطير القديمة

أن البحر يرسل أحد آلهته

تحرس من سبقوا ضوء الشمس

لجلب قوت يومهم

وأن هؤلاء تسكنهم روح الله

فقررت أن أكمل كل اليوم

فالسماء صافية والبحر يلبس ثوب السكينة

مر اليوم سريعاً

فهكذا هي أوقات الصيد والمغامرة

الشمس تلوح بالرحيل

وها هي تودع صفحة الماء

قلت في نفسي عليَ أن اصتبر

فالصيد في الليل يجلب الرزق الوفير

والأسماك الكبيرة هي من تجوب أعالي البحار

بعد وقت قصير لملم النهار بقاياه

والسماء أخذها النعاس

بين العتمة التي أكاد أرى فيها يدي

رأيت عملاقاً ضخم

يقف فوق شفا جرف هائل أمام البحر

صرخت بداخلي

أيعقل أن الصياد سيكون وليمة لمفترسٍ كبير ؟

وماذا أفعل غير أن أصمت وأتقوقع في نفسي

لكن وعندما اشتد وتر الخيط مني بقوة في الماء

أدركت أن هناك سمكة كبيرة الحجم قد علقت

قلت لذاتي ماذا لو أخرجتها دون أن أصدر صوتاً

وحتى لو سمعني هذا الوحشي

الساكن بعيداً سأتركها له وأرحل

وما أن اقتربت السمكة مني

حتى أخذت تضرب بذيلها صفحة الماء

فأحدثت ضجيجاً سمعته كل الجبال المتصنتة حولي

همست أصمتي أيتها الشريرة

أتريدين أن تنجي بحياتك وأهلك أنا ؟

أصمتي يا تعسة الحظ مثلي

وما إن أخرجتها حتى وضعتها في مخلاة الصيد

لكني تعجبت لأمر هذا المفترس المجهول

الذي لا يحرك ساكناً !!

وقتها تذكرت الأساطير القديمة

أن البحر يرسل أحد آلهته ليبارك الرزق

ويحرسنا من أرواح الليل الشريرة

عندئذ تخللت السكينة إلى قلبي

وبدأت أُطرب مسامعي بأغاني الصيادين

وأخذت أكرر

" ألهة البحـــــار أرسلت لى ذاك الشبح

ذو الرأس المهيبة كى يحرسنى طوال الليل "

مر الوقت ولم اصطاد سوى تلك السمكة الكبيرة

وعندما انبثق النور من فوهة اليوم الجديد

اتضح لي أن الشبح الذي أخافني طيلة الليل

كان صخرة صماء

أوهمني الظلام أنها وحش

وقتها أدركت أن مخاوفي كانت وهم

وأن الذئب والوحش

ما كانا إلا أثراً وصخرة

(يوميات بحـــــار)

عندما أنزلت السفينة شراعها

والقت ثقلها ورست على الميناء

هرول كل البحارة قاذفين بأنفسهم في أحضان ذويهم

إلا البحار محمود

كان واقفاً هناك فوق الساري الطويل يرمق كل الوجوه

كما هذا النورس الذي وقف إلى جواره

لا من أحد يدفئ قلبه ولا يشق الإبتسامة إلى ثغره

فمن كان رحل تاركاً مكانه على الميناء للذكرى

تذكر محمود كلمات صياداً عجوز

" إن الأحباب عندما يرحلون

يتحولون إلى حورياتٍ تجوب البحار "

وقتها رفع الشراع ليعانق الرياح

وأطلق نفير اللقاء

فتلفت إليه الجمع قائلين

وقد وجمت وجوهم في دهشة

لم يمضِ وقت طويل بعد

قال   لا تفزعوا

فليس لي حاجة إليكم في رحلتي تلك

ثم مضى يشق عباب الموج

وخلفه النورس الذي كان يقف بجواره

(يوماً سأعود يا أمي)

لست بحزين أن الموج سيحملني بعيداً

فذات الموج يعاود السفر إلى موطنه

فلا تحزني يا أمي ولا تجزع يا أبتي

حنت عليه أمه متوسله له أن لا يغادر

يا ولدي لا تتركني فأخاف أن يجئ غداً ولا تلقاني

قد هوت دموعي منكسرة

فهل ترضى لأمك الهوان

يا ولدي دعك من رخاء العيش

فكسرة خبز أشهى في قربك من نعيم الحياة

ولما ترحل وأنت قرة عيني وهدأة قلبي

ثم بكت وما كادت أن تتكلم ثانيةً

حتى قال

يا أمي   تلك الحياة رحيل وغربة

ألا يترك العصفور صغاره وهو يجهل مخالب الفراق ؟

ألا ترحل الشمس عن طريدة خائفة من ظلام الليل ؟

يا أمي يا حبيبتي إن ذهبتُ فأنتِ تلتحفين سمائي

وإن غفوتُ فأنتِ كل أحلامي

فأين الفراق إذاً ؟

فنهض أبوه قائلاً

يا ولدي   أنا امتهنت من قبلك السفر

وسلكت كل سبل الرحيل

يا ولدي

لا تكن غريباً بأرضٍ فتتخطفك المعاناة

وتأسرك الأحزان

رغد العيش في فرحة تعانق وجوهنا

فالمال وإن كَثُر

لا يستطع تجفيف دمعة سالت

ولا سعادة قلبٌ يئن

فأي رغد سنلقاه في بعادك

ومصابيح بيتنا ستطفأها الدموع ؟ !

لا ترحل يا شعلة أمك وأبيك

ثم بكى وما كاد أن يتكلم ثانيةً

حتى قال الابن

يا أبتي رفقاً يا شمعة دربي

أولست أنت نبراسي ومعلمي

علمتني أصمد في وجه الخطر

وعلمتني أن في الترحال حكمة ومغذى

وأن الغربة تصنع رجلاً جلداً خشن

لا تهزمه الأيام ولا تشقيه المحن

يا أمي   يا أبتي دعائكما لي دليلي

وهل يضل رجل أنار القمر دربه ؟

ثم وضع أيديهما على صدره

هذا ينبض بحبه لكما ليل نهار

ويبتهل للسماء أن تكونا بخير

في لحظة عصفت فيها السكينة بالبيت

أمسك بحقيبته وفي يده الأخرى كتاب

،، كيف تُجابه ألم الفراق ،،

ونظر إلى والديه وهو يردد بإبتسامه حزينة

سنلتقي   سنلتقي

ثم مضى في طريقه هامساً

كم سأفتقدك يا أمي

كم سأفتقدك يا أبتي

لكنها الأيام   لكنه الزمن

لكنها الأيام   لكنه الزمن

(الوزير)

في أحد الأيام ذهبت إلى المخبز لأشتري حاجتي من الخبز

فوجدت رجالاً ونساءاً

في طابورٍ طويل يشق طريق السيارات

وكأنهم ينتظرون حتفهم

كانت الظهيرة والشمس تعمدت السماء

والناس مغبرون بأتربة الشارع الخانق

كان العرق يتصبب منهم وكأنهم أتين من هرولةٍ مريرة

رغم ذلك يحملون بشاشة الوجه وطيبة فى الخُلق

من بين الرجال الواقفين

رأيت أحدهم يقف تارة واضعاً يداه في جيوب بنطاله

وتارة أخرى تحتضن يداه صدره

ولأن العيون مرآة أصحابها

كنت أجهل هذا الرجل

الذى يضع نظارة سوداء تجعله لي مُبهماً

طال الإنتظار

والكل يقف كجزوع أشجار خاوية تترنم متى الغيث

إلا هو كان يقف في ثبات

محافظاً على مسافة بينه وبين الناس

في نفسي قلت

ربما هذا المتكبر يخشى أن تلمس الناس بنطاله الأبيض

أو قميصه الحريري المزركش

بعد فترة ليست بالقصيرة

جاء صاحب المخبز بالخبر

الذي لم يكف نصف الواقفين

وعندما صاحت الناس فيه ثائرة

قال مستهتراً

لقد حدث عطل في الماكينة

والخبز اليوم لن يكفي الجميع

كل الناس كانت ناقمة إلا هذا الرجل

كل ما فعله أنه مضى بعيداً دون أن يقول شيئاً

فأخذني الفضول فرحت أتعقبه

كنت أتحسس خطواتي وأنا أسير خلفه

فإذ به دخل وزارة التموين

وقوف الناس له عند المدخل

وإصغائهم لحديثه في خشية

جعلني أتساءل أكثر من هذا الرجل ؟

بعد أن دخل في رفقة مجموعة من الناس

التي تمضي خلفه

سألت أحدهم

فقال لي أنه الوزير المسؤول هنا

عن إحتياجات الناس من الأطعمة

تزمرت أنه لم يفعل أي شئ ،

في اليوم الثاني

وجدته يقف بين الناس فى صمت

متوارياً خلف نظارته السوداء

لكن الخبز في هذا اليوم كان يكفي الجميع

تساءلت ضاحكاً

ماذا لو لم يجئ بالأمس هذا الوزير ؟

محتوى الكتاب